المحور الثاني

1. الجزائر في مرحلة ما قبل التاريخ

يتم تعريف عصور ما قبل التاريخ عمومًا على أنها الفترة الواقعة بين ظهور الجنس البشري واكتشاف الكتابة. أي أن فترة ما قبل التاريخ تمثل فترة ما قبل ظهور الكتابة ومعها المجتمعات الحضرية. حيث تشير الدراسات أن الكتابة بدأت تظهر في منطقة ما بين النهرين، حوالي عام 3500 قبل الميلاد، مع ظهور المدن والحضارات القديمة. لكن استغرق الأمر آلاف السنين حتى تم تبني أنظمة الكتابة على نطاق واسع، وانتشرت الكتابة في كل الثقافات والمجتمعات الأخرى. بالتالي، جاءت نهاية ما قبل التاريخ في أوقات مختلفة وفي أماكن مختلفة.

لا توجد سجلات مكتوبة من عصور ما قبل التاريخ البشري، والتي لا يمكن معرفتها إلا من الأدلة الأثرية والأنثروبولوجية المادية: المواد والادوات والبقايا البشرية. حيث يمكن هنا الاستفادة من مكتسبات تطور علم الآثار المختلفة. لهذا فان الدراسة العلمية للتاريخ كانت سابقة على الدراسة العلمية لمرحلة ما قبل التاريخ.

ويتقسم مرحلة ما قبل التاريخ بحسب التقسيم المعدني الثلاثي الى ثلاثة عصور. العصر الأول هو العصر الحجري، حيث استأنس الانسان بالأدوات الحجرية، وينقسم بدوره الى عصر حجري قديم (Paléolithique) تلته الثورة الزراعية (Néolithique) في حوالي 10000 ق.م. ثم تأتي مرحلة العصر البرونزي حيث اكتشف الانسان تعدين المعادن واعتمد على البرونز بشكل أساسي، وفي هذا العصر كذلك بدأت تظهر بواكير الحضارات والمدن. أما العصر الأخير فهو العصر الحديدي نسبة لاكتشاف استخدام الحديد. وهنا دخلت الانسان في العصور القديمة. لكن هذا التقسيم في حد ذاته قابل للنقد من حيث أنه لا ينطق على كثير من مناطق العالم الغير أوروبية.

بالنسبة للجغرافيا الجزائرية في مرحلة ما قبل التاريخ فانها كما تشير الدراسات قد خضعت لتغيرات كثيرة، حيث المناطق الصحراوية اليوم مناطق ذات مناخ استوائي وتشهد هطولا كثيفا للأمطار مع انتشار الغابات والحيوانات المختلفة، ما جعلها مكان استقطاب لهجرات الإنسان الاول، الذي يعتمد على الصيد وجمع الثمار.

حيث توجد في الجزائر، أحد أولى آثار المجتمعات الإنسانية، وقد تم اكتشاف عدة مواقع، في الصحراء التي كانت آنذاك أقل جفافا وأين كانت تمتد الغابات والمناخ المطير.

يوجد في شمال البلاد العديد من المواقع التي تمثل العصر الحجري القديم، مثل "موقع عين الحنش" بالقرب من سطيف، حيث تم العثور على أقدم بقايا أشباه البشر في شمال إفريقيا.

ظهرت في الجزائر بواكير المجتمعات المنظمة في مختلف مراحل العصر الحجري، وما يمكن ملاحظته هنا أن الجزائر وساكنتها لم يمروا على مرحلة العصر البرونزي بالمفهوم المتعارف عليه. حيث يمكن في هذا السياق الحديث عن أهم الثقافات والمجتمعات التي ظهرت في الجزائر في مرحلة ما قبل التاريخ:

الثقافة العاترية:

يقصد بها مجموع المجتمعات الانسانية التي توزعت في شمال أفريقيا خصوصا في جبال الأطلس. تعود الثقافة العاترية إلى العصر الحجري القديم، اكتشفت في الموقع المسمى بئر العاتر في ولاية تبسة، حيث شهدت هذه الفترة، حوالي 20,000 قبل الميلاد هطول أمطار غزيرة في الصحراء الكبرى وشمال الجزائر، فعرفت المنطقة بالتالي مناخا رطبا جدا شجع على نمو النباتات والغابات وانتشار الحيوانات، والتي طاردها وإصطادها انسان الثقافة العاترية.

قد كشفت الحفريات الأثرية عن ادوات وأسلحة متطورة، استخدمت غالبا للصيد، وهي مصنوعة من الحجر والخشب وحتى الحبال.

إختفت الثقافة العاترية ، خلال ثورة العصر الحجري الحديث، مع الثورة الزراعية في 7500 قبل الميلاد، أين ظهرت المجتمعات الحضر التي تنتج المواد الغذائية من خلال الزراعة والتدجين. وقد تلتها ظهور الثقافة القفصية.

الثقافة القفصية:

الثقافة القفصية (نسبة إلى مدينة قفصة تونسة) هي ثقافة قبل تاريخية ظهرت بين 10.000 و4.000 سنة قبل الميلاد ، في المناطق الداخلية من شمال أفريقيا الحالي، خاصة في تونس وإمتدت إلى الجزائر والمغرب حيث وجدت آثار للإنسان.

حيث "اكتشفت اثارها بين منطقة قفصة بتونس الحالية وبعض مرتفعات الجزائر الشرقية حيث جبل الأوراس وتبسة وسوق اهراس وقسنطينة. وقد انتقلت هذه الحضارة الى اوروبا عن طريق جبل طارق وتطورت هناك حتى أصبحت تعرف بإسم "الثقافة الأوريجناسية""[1].

تقسم الى الحضارة القبصية المثالية (الشرقية) ، والحضارة القبصية العليا (العليا)

"من آثار الصناعة القفصية شفرات الظهر المنطرح ونصال الظهر المنطرح كذلك، وشفرات الحز وحجريات دقيقة أكثر تنوعا وأكثر وفرة أيضا. وعثر ذلك على لؤلؤات من أصداف بيض النعام وأدوات مصقولة. كما تم العثور على أدوات ذات شكل هندسي تعود للثقافة القفصية. وعثر كذلك ما يدل على أن الناس قد مارسوا قلع الأسنان واستخدموا العظميات البشرية أحيانا"[2].

[1] يحيى بوعزيز ، الموجز بتاريخ الجزائر، ج1 ، ص22
[2] محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ص14

2. المرحلة الفينيقية والبونيقية:

الفينيقيون، نسبة الى الحضارة الفينيقية (من اليونانية القديمة: Φοινίκη، فوينيكِس Phoinnkē وتعنى «البلد الأرجواني»)، حضارة في شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب الهلال الخصيب (سواحل لبنان وفلسطين حاليا) قبل 2500 عام قبل الميلاد، وقد تميز الفينيقيون بنزعتهم التجارية وهجراتهم الواسعة عبر مختلف ضفاف البحر الأبيض المتوسط، فشيدوا عديد المدن والحواضر خصوصا في منطق شمال افريقيا بالعموم والجزائر بالخصوص.

حاول الفينيقيون اكتشاف طبيعة شواطئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وذلك من أجل اختيار مواقع لمحطاتهم ومستوطناتهم التجارية التي تحولت فيما بعد إلى مستوطنات اسكان إحتك فيها السكان المحليون بالفينيقيين، وتبقى الدلائل المادية والكتابية حول الأيام الأولى للفينيقيين بسواحل شمال افريقيا قليلة لكن من المرجح أن مستوطناتهم كانت عبارة عن محطات تجارية مرتبطة مباشرة بالوطن الأم ولم تتحول إلى مستوطنات ومدن إلا بعد تكاثر عدد المهاجرين الفينيقيين وتطويرهم لنشاط اقتصادي مع السكان المحليين وبالتالي تأسيس حضارة جديدة عرفت فيما بعد بالإمبراطورية القرطاجية.

في هذا السياق وصل الفينيقيون الى سواحل الجزائر وأسسوا أولى المدن الساحلية فيها، ونذكر منها ما يلي :

- هيبون (عنابة اليوم) وهي النطق اللآتيني للكلمة الفينيقية ويتعلق اسمها ربما بالكلمة (ûbôn) التي تعني "الميناء"، استوطنها فينيقيون من صور لأول مرة في حوالي القرن 12 ق.م.

- إكوزيوم (الجزائر اليوم) أطلق السكان البونيقيين هذا الاسم على المدينة قبل القرن 3 ق.م واسمها البوني (wyksmʿ) وتعني جزر النورس وكانت عبارة عن مركز تجاري صغير.
- إيجلجيلي (جيجل اليوم) مدينة قرطاجية وميناء تجاري، واسمها من كلمة (gulgulet) الفينيقية وتعني في شكل جمجمة وهي مستوحاة من التلال المحيطة بجيجل وقيل من الكلمة الفينيقية (lğilğili) المتكونة من (l) وتعني جزيرة و(gilgil) وتعني حلقة من الحجر ويشير كل ذلك إلى سلسلة من الشعاب المرجانية التي أنشئ عليها جزء من ميناء جيجل.
- يول (شرشال اليوم) أنشأ الفينيقيون أولى المستعمرات على السواحل بين وطنهم ومضيق جبل طارق في القرن 8 ق.م، لكن تم تأسيس يول حوالي 600 ق.م. واسمها من كلمة (lol) الفينيقية وتعني جزيرة.
- تيبازة (تيبازة اليوم) واسمها من كلمة (Tipaza) الفينيقية وتعني محطة توقف أو نقطة عبور. في البداية كانت المدينة مركزًا تجاريًا صغيرًا للبونيقيين، أسسها الفينيقيون حوالي القرن 5 ق.م. كان لتيبازة هيئة مدينة بونيقية لأنها كانت تقع في منطقة نفوذ قرطاج.
- كيرتان (قسنطينة اليوم) تأسست المدينة في الأصل من قبل الفينيقيين، الذين أطلقوا عليها اسم "قرطة".
- مالاكا (قالمة اليوم) أسست من قبل الفينيقيين وسموها مالاكا على غرار مستعمرة مالاك بمالقة الإسبانية.

مع الوقت نقل الفينيقيون مركز حضارتهم من السواحل اللبنانية الى سواحل شمال افريقيا، وكانت قرطاج عاصمتهم الحضارية الجديدة، وفي هذه المرحلة بالذات تم الانتقال من

الحضارة الفينيقية الى الحضارة البونيقية، والمقصود بالبونيقية هنا هو الحضارة الفينيقية التي امتزجت مع المنطقة الشمال الافريقية وسكانها.

توسع البونيقيون وسيطروا على سواحل البحث المتوسط، ومراكز التجارة فيها، وفي هذا السياق بدأت قوة سياسية توسعية جديدة تظهر في شمال المتوسط، إنها روما. وبالتالي أصبح هنالك صراع حضاري وسياسي وثم عسكري على مناطق النفوذ في شمال افريقيا، صراع غير مسار التاريخ الحضاري وانتهى بسلسلة حروب تاريخية كبرى هي ما يعرف ب"الحروب البونيقية"، والتي شهدت منطقة شمال أفريقيا والجزائر أهم أحداثها.

- الحرب البونيقية الأولى (264 ق.م حتى 241 قبل الميلاد): كانت بالأساس حرب حول النفوذ في المنطقة بين أكبر قوتين في حوض البحر الأبيض المتوسط، قرطاجة القة التقليدية في المنطقة وروما القوة الجديدة الصاعدة في المنطقة، فكانت بالأساس حربا بحرية، استمرت الى حوالي 23 سنة، وهي تمثل أطول حرب في تلك الفترة. وقد تكبد فيها الطرفان خسائر بشرية ومادية هائلة، لكنها انتهت بتوطيد الرومان سيطرتهم على شمال حوض البحر المتوسط، وبالتالي عدت انتصارا لروما.

- الحرب البونيقية الثانية (218 ق.م حتى 201 قبل الميلاد): بدأت هذه الحرب بمحاولة حنبعل غزو روما ، حيث انطلق حنبعل بجيش يضم كثيرا من الخيالة النوميديين (البربر) مهاجما جنوب أوروبا وروما في عقر دارها، وقد حقق في بداياته عدة انتصارات عسكرية باهرة خلدته كأحد أهم الجنرالات في التاريخ بفعل انتصاراته وتكتيكاته العسكرية المبهرة، جعلته على ابواب روما، التي كانت على شفى حفرة من الاندثار. لكن وبعد 10 سنوات من التواجد القرطاجي في ايطاليا، لم يتمكن حنبعل من ترجمة انتصاراته العسكرية الى انتصارات سياسية حاسمة، وقرر الرومان نقل الحرب هذه المرة الى شمال افريقيا، مع عقد التحالفات مع القبائل والممالك البربرية (التحالف مع ماسينيسا)، فكان لهم الانتصار الحاسم في معركة زاما. وبالتالي كانت الحرب البونيقية الثانية في بدايتها تمثل قمة الانتصارات القرطاجية، لكن

نهاية مثلت هزيمة ساحقة لقرطاجة، ستكون بداية نهايتها، وبداية المرحلة الرومانية في شمال افريقيا.

- الحرب البونيقية الثالثة(149 ق.م حتى 146 قبل الميلاد): كانت روما تبحث عن اسباب لشن الحرب ضد قرطاجة التي فقدت كثيرا من قوتها، وانهاء تواجدها في شمال افريقيا، وفي هذا السياق استعانت بحليفها ملك نوميديا "ماسينيسا"، الذي بدأ الحرب ضد القرطاجيين وانتصر عليهم ممهدا الطريق لاستيلاء الرومان على العاصمة قرطاج وتدميرها كلية، ما عنى نهاية الحضارة القرطاجية فعليا، وبداية التواجد الروماني في شمال افريقيا، مرفوقا كذلك بظهور دولة نوميديا الموحدة في هذه المرحلة.

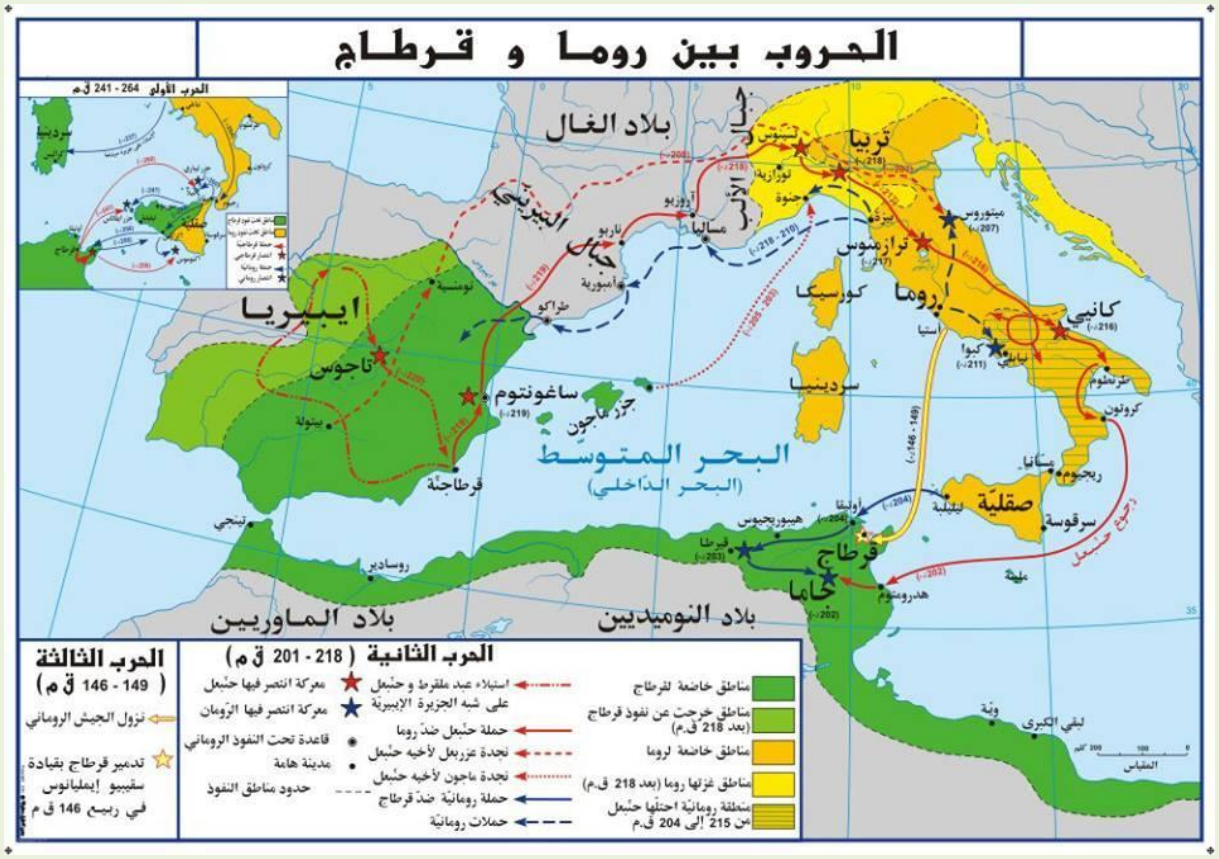

3. الممالك البربرية : الماسيل والماسيسيل ومملكة نوميديا

الماسيل أو نوميديا الشرقية إحدى الممالك البربرية القديمة، والتي تم تشكيلها عن طريق دمج القبائل الصغيرة مثل الجيتول وموزولامي خلال القرن الرابع قبل الميلاد. كانوا يحكمهم ملك، ومنهم كان ماسينيسا. أما **الماسيسيل** أو مملكة ماسيسيليا ، أو نوميديا الغربية. فهم قبيلة تميزت بمحالفة قرطاج والتعاون معهم ضد روما. وكان أشهر ملوكهم وأقواهم "صيفاقص"، حليف القرطاجيين في الحروب البونيقية.

ساهمت الممالك البربرية بشكل مهم وفعال في رسم الخارطة السياسية لشمال أفريقيا في ذلك الوقت، حيث كان لهم الدور المهم في تحديد المنتصر والمنهزم في الصراع بين الرومان والبونيقيون. فقد كان الفينيقيون أول الحضارات وصولا الى سواحل شمال افريقيا، حيث بنوا مدنهم في السواحل واهتموا بالتجارة والتبادل التجاري، تاركين المجال الى تشكل المدن والممالك البربرية في الداخلية التي تعتمد على الزراعة والرعي، فلم تكن العلاقة بينهم في مرحلة أولى علاقة تصادم، لا بل انها كانت علاقة تبادل وتثاقف، حيث انتشرت الثقافة البونيقية في صفوف السكان، ويظهر ذلك جليا في اللغة والمعتقدات. لكن ومع ظهور الرومان كقوة صاعدة في حوض المتوسط، ومع تطور الممالك البربرية التي سعت الى مد نفوذها في المنطقة، بدأت بوادر الصراعات تبدو. ففي البداية تحالف القرطاجيون مع الممالك البربرية في حربهم ضد روما، وكان الخيالة النوميديين أهم عوامل الانتصارات الباهرة التي حققها حنبعل وجيشه على الرومان. ثم انقلب الأمر على القرطاجيين حين تحالف الرومان مع ماسينيسا، الراغب في مد نفوذه على حساب ممطلة الماصيصيل وملكها صيفاقص وحلفاءه القرطاجيين. فكان انشقاق ماسينيسا عن التحالف القرطاجي سببا مباشر في هزيمة قرطاجة في معركة زاما الشهيرة.

وفي هذا السياق ولدت ممكلة البربر والأمازيغ الكبرى "نوميديا الموحدةط، مع ملكها ماسينيسا –الاغليد الأعظم–، حيث أنه بعد هزيمة القرطاجيين ومقتل صيفاقص، تمكن ماسينيسا من توحيد المصايل والماصيصيل، وشكل دولة نوميديا الموحدة، التي تبن تحالفات وعلاقات ودية مع روما طيلة حياة ملكها المؤسس الطويلة. وفي هذا السياق كثير ما تبادل للمؤرخين ولدارسي المرحلة هذا السؤال : هل استفاد ماسينيسا من روما ، أم أن روما هي من استفادت من ماسينيسا ؟

مملكة نوميديا:

نوميديا الاسم المختص ل"مملكة نوميديا" القديمة في شمال غرب إفريقيا، حيث كانت تتألف في البداية من الأراضي التي تشكل الجزائر الآن، ثم توسعت لاحقًا عبر ما يُعرف اليوم باسم تونس وليبيا. تم تقسيم النظام السياسي في الأصل بين دولة ماسيلي في الشرق (العاصمة: سيرتا) ودولة ماسايسيلي في الغرب (العاصمة: سيجا). وخلال الحرب البونيقية الثانية (218–201 قبل الميلاد)، هزم ماسينيسا، ملك الماسيل المتحالف مع الرومان، "سيفاكس" ملك الماسيسيل المتحالف مع قرطاجة، ليتمكن من توحيد نوميديا في أول دولة

بربرية موحدة للنوميديين في الجزائر الحالية، يحكمها خلفاء ماسينيسيا حتى تفكيكها من قبل الرومان نهائيا في زمن لاحقا.

كان لنوميديا عدة ملوك، واسم الملك النوميدي هو "الإغليد"، وهي كلمة أمازيغية تعني "الملك"، فكان أشهرهم "سيفاكس" و"ماسينيسا" و"ميكيبسا" و"يوغرطا" و"يوبا الأول". حيث تدين المملكة بنجاحها إلى ماسينيسا ، الإغليد الأعظم الذي وحد نوميديا بالتحالف مع روما ضد البونيين القرطاجيين.

تزدهر نوميديا بعد توحيدها وتضم عدة مدن وحضارة أصيلة. تطورت زراعة الحبوب بشكل خاص في قسنطينة وتجارة البحر الأبيض المتوسط في غرب نوميديا. تم طرد القرطاجيين بالكامل من المناطق الساحلية ومن شرق إفريقيا وتم شن حملات عسكرية حتى شرق طرابلس.

إلا أن نزاعات السلطة، تدخل الرومان أضعف النوميديين. وبعد حرب يوغرطة ضد الرومان، تم تقليص مملكة نوميديا إلى ثلثها الشرقي على يد الرومان. وتم اسناد الثلثين الغربيين إلى الملك بوكوس الموريتاني الذي سلم الملك النوميدي يوغرطة الى الرومان 105ق.م. فتحولت مملكة نوميديا الى مملكة ذات مساحة محدودة ومنقوصة السيادة. وكان دعم جوبا الأول 46 ق.م، لخصوم يوليوس قيصر خلال الحرب الأهلية قاتلاً بالنسبة له. حيث هُزم جوبا وانتصر قيصر، وبالتالي ضمت روما نوميديا لتصبح مقاطعة رومانية "مقاطعة أفريكا". وهو ما يعني ضمنيا نهاية مملكة نوميديا المستقلة. حتى وان استمر وجودها لبعض الزمن كدولة تابعة للرومان مع يوبا الثاني. (30 ق.م– 25 ق.م).

4. المرحلة الرومانية، وما يليها (الوندال والبيزنطيون):

من حيث تنتهي المرحلة الفينيقية والبونيقية تبدأ المرحة الرومانية، فزوال قرطاج، والفراغ الذي خلفته ملأه الرومان ومملكة نوميديا في بادئ الأمر.

حكم ماسينيسا مملكة نوميديا الموحدة ل 54 سنة، فتوسعت وازدهرت واستقرت الأمور في نوميديا، بفعل سياسات ماسينيسا وعلاقته الودية مع روما، توفي الإغليد الأعظم في سنة 148 ق.م وترك تسيير مملكه من بعد الى ثلاثة من أبناءه، وقد ساروا نفس نهج والدهم في تسيير الدولة وبناء علاقات ود وتعاون مع الرومان، لكن الرومان بدا أنهم لم يكونوا يريدون لنوميديا أن تتوسع وتتجاوز حدا معينا، فقرروا اتباع سياسة التقسيم والتفريق والتدخل الجزئي في السياسة الداخلية لدى خلفاء ماسينيسا. ومع الجيل الثالث من ملوك ماسينيسا استمر التقسيم، لكن هذه المرة ظهر يوغرطة التي حلم باستعادة مجد جده برؤية نوميديا موحدة، لكن يبدو ان الأمر لم يكن على هوى الرومان. وهذا ما قاد يوغرطة الى التمرد على سلطة الرومان واعلان الحرب ضدهم وضد نفوذهم في المنطقة (حروب يوغرطة 112 ق.م الى 105 ق.م). وحين عجز الرومان عن هزيمة يوغرطة عسكريا، قرروا مرة اخرى القيام بتحالفات داخل مملكة البربر ذاتها، فتحالفوا هذه المرة مع بوكوس، الذي سلم يوغرطة الى الرومان، فتم اعدامه في روما بعدها.

وهنا اتخذ الرومان قرارا بضرورة تقسيم مملكة نوميديا، بما يضمن بقاء مصالهم ونفوذهم في المنطقة، ويبعد خطر تشكل قوى معادية. فقسمت مملكة نوميديا الى اجزاء، حتى جاء زمن يوبا الأول (60 ق.م – 46 ق.م) والذي اراد ان يوحد نوميديا من خلال الاستفادة من الاقسام الحاصل داخل الرومان الحرب الأهلية القائمة بين القائدين بومبي ويوليوس قيصر. فاختار التحالف مع بومبي ، بين وجد يوليوس قيصر في بوكوس الثاني ملك مورطانية حليفا له. لكن الأمر سارت في مصلحة الرومان ويوليوس قصر، وهزم يوبا وقتل اثرها، واندثرت مع نوميديا المستقلة، حيث قرر الرومان حلها رسميا، وأعلنوا بداية الاحتلال الروماني لشمال افريقية التي تحولت الى مقاطعة رومانية "إفريقية الرومانية" يسيرها حاكم روماني. مع بقاء ممالك بربرية تابعة مباشرة للسلطة الرومانية مثل المملكة الموريطانية.

دخل الرومان الى هيبو(عنابة) عاصمة يوبا الأول وهناك وجدو ابنه الصغير، فأخذوه ليعيش ويتربى في روما، وحين كبر، تم اعادته الى مقاطعة افريقية وتنصيبه ملكا تابعا على نوميديا (30 ق.م الى 25ق.م) ثم بعد حل نوميديا على موريطانية (25 ق.م الى 23 م) تحت اسم "يوبا الثاني". وكان يوبا الثاني هذا على عكس والده تابعا لروما وخاضعا لها على كل الاصعدة.وفي هذا السياق سيطرت روما على منطقة شمال افريقيا ، من خلال الاستيطان المباشر والدول المحلية التابعة، التي تتدخل مباشرة في تسيير شؤونها السياسية.

بعد وفاة الملك يوبا الثاني سنة 23م، خلفه ابنه «بطليموس»، فسن سياسة التوحيد والاتساع فقام بتوحيد مملكة موريطانيا وجمع كل القبائل الأمازيغية الأخرى تحت سيادته وسلطة حكمه، وبدأ بعد ذلك في تقوية جيشه من أجل التوسع والامتداد لتوحيد الممالك الأمازيغية. لكن الحكومة الرومانية في عهد كاليغولا (25 ق.م – 33 م) كانت تنظر لسياسته بعين التوجس والقلق.

في نفس الوقت، انطلقت مقاومة شرسة قادها المقاوم الشاب تاكفاريناس لمدة سبع سنوات بعد أن فر من الجيش الروماني في سنة 17 م، فبسط نفوذه على قبيلة مازولاميس (منطقة

مسيلة) التي كانت مواطنها بين قفصة والأوراس أي في نوميديا الشرقية. وقد كبد الجيش الروماني خسائر فادحة، وشن ضدهم هجمات مستمرة استمرت السبع سنوات (17 م الى 24 م)، وكان يبدو أن البربر يميلون الى الالتحاق بتاكفاريناس على حساب يوبا الثاني وابنه بطليموس، وهذا ما استدعى تدخلا مباشرا من الجيش الروماني، ولتنتهي ثورة تاكفاريناس بمقتله في ساحة المعركة.

أما عن بطليموس فقد امر كاليغولا باغتياله في روما سنة 40م. وبعد اغتياله ستقوم ثورة أخرى قادها هذه المرة (ايدمون). حيث ثار على الحكومة الرومانية بعد مقتل سيده الملك بطليموس ابن يوبا الثاني. وقاد ثورة للوقوف في وجه الحكومة الرومانية في عهد الإمبراطور الروماني كاليغولا. وقد استمرت مقاومة إيديمون لأربع سنوات (40م إلى 44 م) مهددة التواجد الروماني في موريطنية بصفة خاصة وشمال إفريقيا بصفة عامة. لكن الرومان أعدّوا قوة عسكرية استطاعت القضاء على ثورة إيديمون قبل أن تتسع أكثر وتحقق أهدافها.

استتب الأمر للرومان في شمال افريقيا، وسيطروا سيطرة شبه كاملة على المنطقة، وكان هذا العصر الذهبي للامبراطورية الرومانية ودخلت المنطقة في مرحلة السلم الروماني PAX ROMANA ، التي تمتد من حوالي القرن الأول ميلادي الى نهاية القرن الثاني ميلادي. وهنا بدأت عملية الرومنة التي "تشير إلى عمليات تاريخية مختلفة مثل التثاقف، الإدماج والاستيعاب للسكان الأصليين للمناطق التي توسعت فيها الجمهورية الرومانية والإمبراطورية الرومانية. حيث تشير الرومنة أيضا الى عملية نقل الحضارة الرومانية الى "البرابرة" ثقافيا".

بعد عدة سنوات بدأت الصراعات الداخلية بدأت تعصف بالامبراطورية الرومانية، التي بدأت تتآكل من الداخل، تزامنا مع تبني المسيحية التثليثية كدين جديد رسمي للامبراطورية، بعد مجمع نيقية 325م، ظهرت حركة دينية جديدة في أرض الجزائر، قادها دوناتوس (توفي في 355م). ومثلت هذه الحركة مقاومة دينية وثقافية للتواجد الروماني في المنطقة. حيث ظهرت الثورة الدوناتية في شمال إفريقيا وبالضبط في أفريقية عندما أسس دوناتوس مذهبا

مسيحيا أمازيغيا مستقلا "المذهب الدوناتي" يرفض عقيدة التثليث المسيحي الذي تقول به الكنيسة الرومانية الرسمية. فأقبل الأمازيغيون على هذا المذهب الجديد، وابتعدوا مع المذهب التثليثي الروماني، حيث كان من تعاليم الدوناتية، رفض التعاون مع الرومان ورفض التجنيد وغيرها. وبهذا تحولت الدوناتية من حركة دينية الى ثورة اجتماعية. فقررت السلطة الرومانية منع الدوناتية ومحاربتها عسكريا، فكان ذلك.

لم تفلح محاولات القديس أوغسطين (354م- 430م)-أمازيغي الأصل- في الدفاع عن الامبراطورية الرومانية وديانتها المسيحية التثليثية وانتقاد الدوناتية من منع انهيار الامبراطورية، التي كانت قد دخلت مرحلة الانعاش منذ سنين. فجاء الوندال ليجهزوا على ما بقي منها، وفي هذا السياق توفي اوغسطين أثناء حصار الوندال لمدينته "هيبو". يُقال أيضا إنه توفي في اللحظات التي كان الوندال يقتحمون أسوار المدينة.

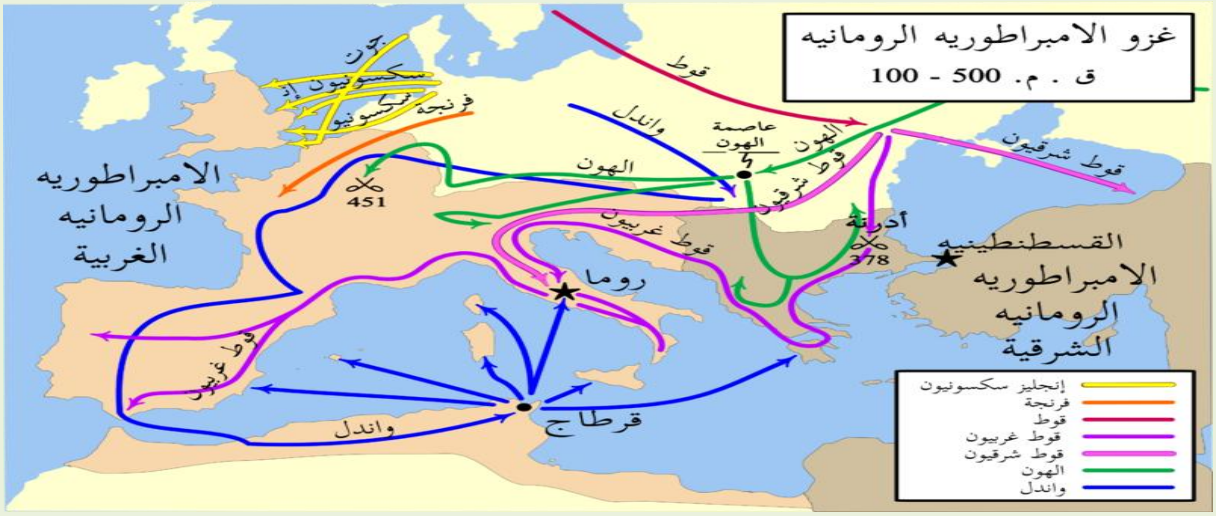

الوندال هؤلاء هم شعوب أوروبية شمالية (جرمانية)، كانت تقع سابقا في مناطق سيطرة الامبراطورية الرومانية، وقد قاموا بالهجرات جنوبا وبدأوا في اقامة الدول والمستعمرات في اسبانيا ثم قاموا بغزو شمال افريقيا، الذي كان يقع تحت سيطرة الرومان آنذاك، وفي نفس السياق قاموا بغزو روما واحتلالها وتدميرها، وبذلك انتهى تاريخ الامبراطورية الرومانية الغربية رسميا. وبدأت معه مرحلة القرون الوسطى.

عاش الوندال في شمال افريقيا ، واتخذوا من قرطاجة وهيبو (عنابة) عواصم لهم، وقاموا بهجرات سكانية كبيرة الى المنطقة بحيث جعلوها مركز دولتهم، وقاموا بتعويض عقيدة المسيحية النيقية (التثليث) بالمسيحية الأيروسية، واستمر وجودهم في منطقة شمال افريقيا حوالي 100 عام. حيث استقروا في المدن الرومانية القديمة، وانغمسوا في رغد العيش، لتسقط دولته رسميا وينتهي وجودهم السياسي عام 533م ، مع حملة الامبراطور البيزنطي جوستينيان، والذي أعلن عودة الرومان لشمال افريقيا وبداية المرحلة البيزنطية التي ستستمر، بالرغم من بعض المقاومات من السكان المحليين، حتى مجيء العرب بعد حوالي قرن ونصف.

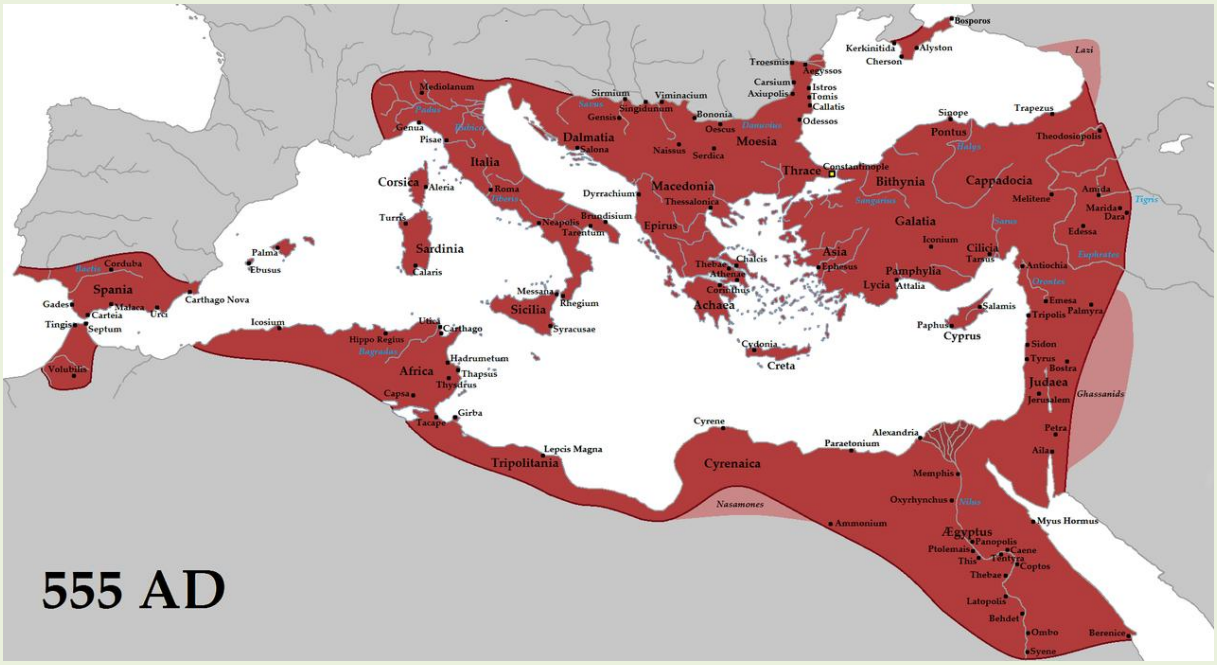

5. الجزائر في المرحلة العربية الاسلامية

الوضع قبل الفتوحات:

كانت الجزائر ومعها جزء كبير من سواحل منطقة غرب شمال افريقيا تقع تحت سيطرة الحاميات البيزنطية منذ ازيد من مائة سنة، وجنوبا كانت هنالك قبائل بربرية تعيش نوعا من الاستقلال في شكل تجمعات قبلية، لكنها لم تصل الى مستوى كيانات سياسية قائمة بذاتها. وفي الشرق ظهر الاسلام وتمدد في شكل دولة وحدت القبائل العربية في بدايتها، ومع وفاة النبي 632م ، توسعت الدولة شمالا وغربا وشرقا مع خلفاءه، وتحولت الى حضارة وامبراطورية كبرى سيطرت على مناطق النفوذ القديمة للامبراطورية الساسانية (الفرس) ، والامبراطورية البيزنطية، حتى بلغت حدود مصر مع حملة عمر بن العاص 641م في خلافة عهد عمر بن الخطاب.

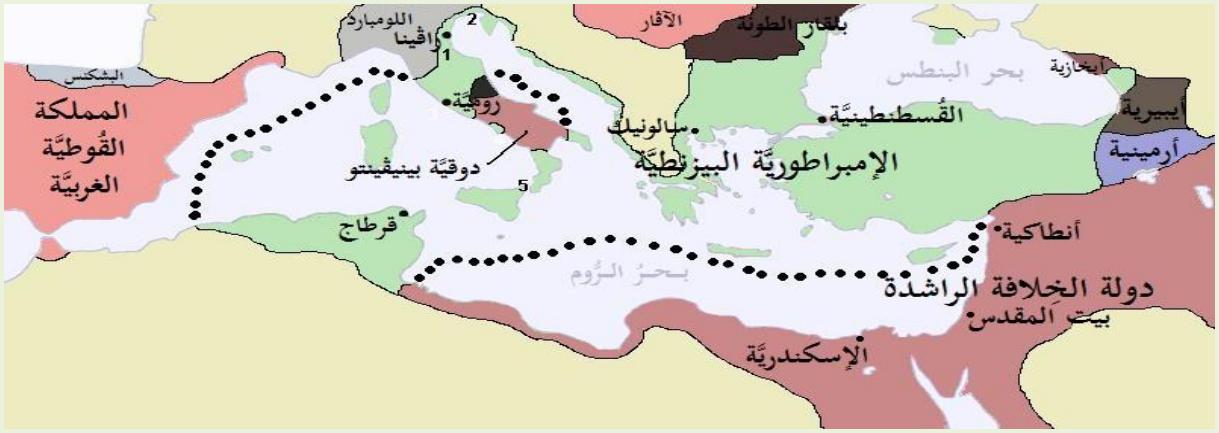

حملات الفتح العربي للمغرب:

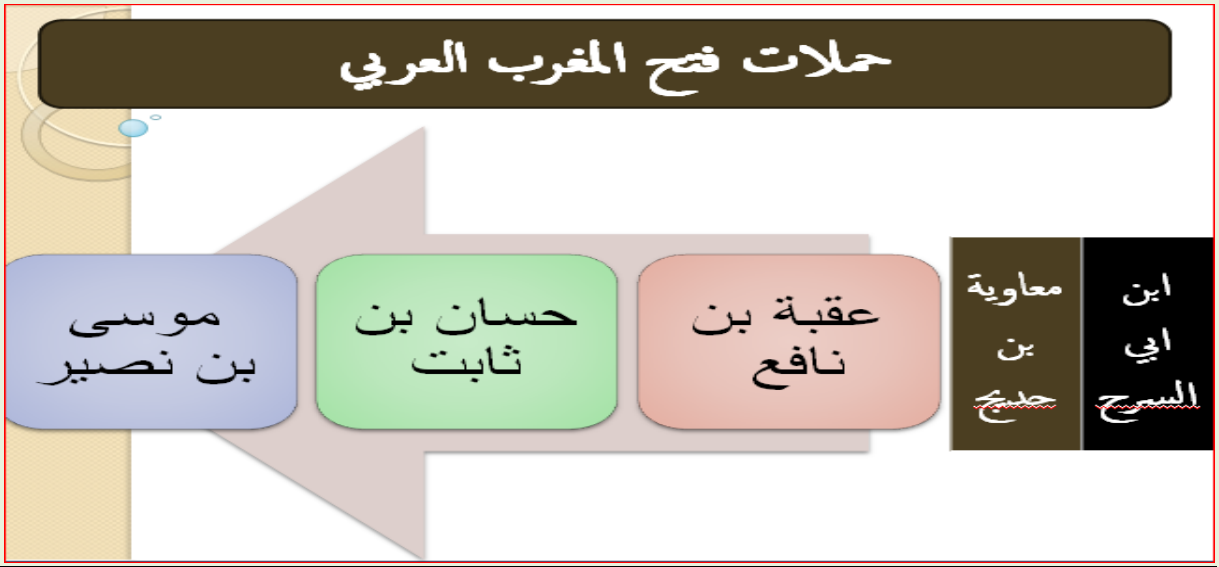

بدأت عمليَّات فتح المغرب، في عهد الخليفة الراشد عُمر بن الخطَّاب، عندما فُتحت برقة وكانت تتبع ولاية مصر الروميَّة، وطرابُلس على يد الصحابي عمرو بن العاص. ولم يأذن عُمر للمُسلمين بالتوغُّل أكثر بعد هذه النُقطة، مُعتبرًا أنَّ تلك البلاد مُفرِّقة ومُشتتة للمُسلمين، كونها مجهولة وليس لهم عهدٌ بها بعد، ودُخولها سيكون مُغامرة قد لا تكون محمودة العواقب. وفي عهد الخليفة عُثمان بن عفَّان سار المُسلمون أبعد من برقة وفتحوا كامل ولاية إفريقية البيزنطية (تونس حاليا). ثم توقفت حركة الفُتوح على الجبهة بعد حادثة مقتل عُثمان (الفتنة الكبرى)، لانشغال المُسلمين في الصراعات الداخلية واندلاع الحروب والفتن التي قامت بعد ذلك طيلة عهد الخليفة الرابع "عليّ بن أبي طالب". ومع استباب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان عادت حركة الفُتوح في شمال أفريقيا، وبلغت أوجها في عهد الدولة الأُمويَّة، فكانت في البداية حملات عسكرية استكشافية (حملة عبد الله بن ابي السرح وحملة معاوية بن ابي حديج)، ودخلت بعدها الدولة الأموية في حالة صراعات حول الخلافة بن موت يزيد بن معاوية، حتى استباب الأمر لمروان بن الحكم وأبناءه، ومع استقرار الأمور في عهد الخليفة الأُموي عبدُ الملك بن مروان وخلَفِه الوليد بن عبد الملك انطلقت هذه المرة حملة موجهة لفتح كامل غرب شمال افريقيا بقيادة عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار، الذين نجحوا في حملتهم

العسكرية وقضوا على الحاميات البيزنطية وأخضعوا القبائل البربرية، حيث نجحوا في الوصول الى المغرب الأقصى، لكن الأمر لم يطل وبدأت المقاومات البربرية تتشكل بقيادة أكسل (كسيلة بن مزلم) ثم ديهيا (الكاهنة)، حتى نجح حسان بن النعمان في تثبيت الوجود العربي في المغرب وكامل بلاد المغرب بِيد الأمويين. ولم يكن الأمر سهلا حيث استغرق الأمر حوالي 70 سنة من الحملات العسكرية والصراعات والكر والفر، وما تبع ذلك من تحالفات ومقاومات من القبائل البربرية المحلية، حتى استتب الأمر للأمويين ، وانتشر الاسلام في المنطقة، ليتحول الى الديانة الأهم التي يعتنقها السكان.

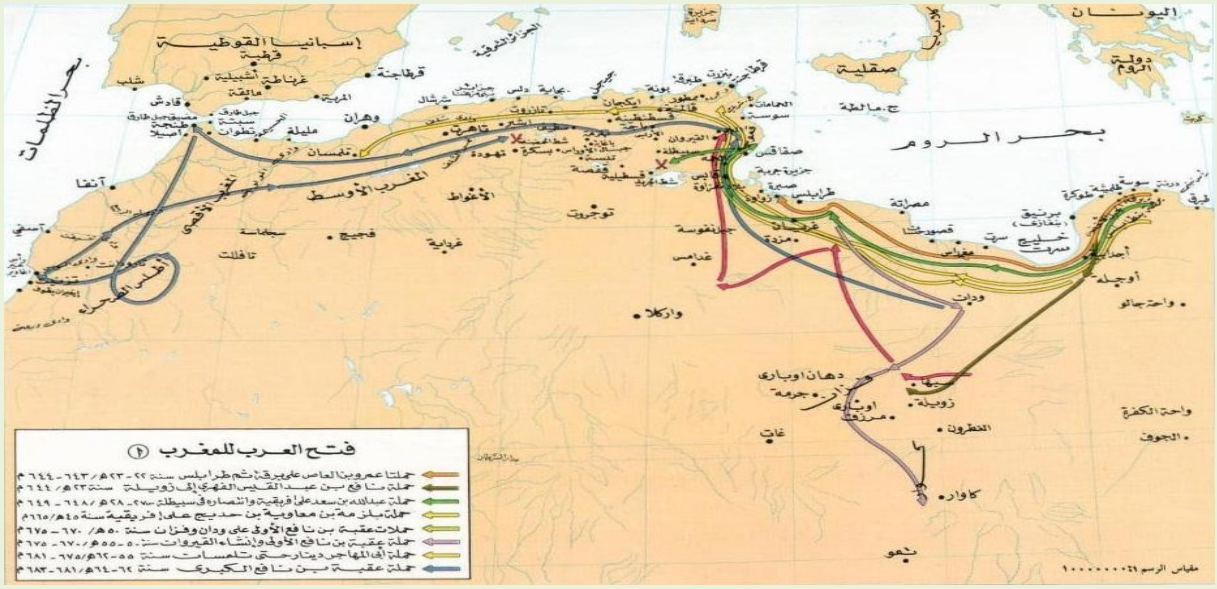

مقاومة الفتوحات

صحيح أن البربر قد تقبلوا الوافدين العرب بطريقة أسهل مما تقبلوا بها الرومان أو البيزنطيين، الا أن الوجود العربي لم يتحقق بتلك السهولة، فقد أستغرق الأمر أزيد من 70 سنة كانت فيها كثير من الحروب والثورات والمقاومات، بين القبائل البربرية وبين العرب وحتى مع بقايا الحاميات البيزنطية ، وفي هذا السياق نذكر أهم حركات المقاومة تلك:

- **ثورة أكسل أو كسيلة بن لمزم:** هنالك اختلاف حول أصل كسيلة والقبيلة التي ينتمي اليها أو الديانة التي كانت تدين بها قبلا، الا أن ما يمكن الاجماع عليه هو ظهور شخصية

أكسل أو كسيلة كما تكره الروايات العربية، وبالخصوص بن خلدون الذي يعتبر أهم مصادرنا، كان مع حملة أبي المهاجر دينار، والذي خلف عقبة على رأس الجيش قبل أن يعود فقبة. كما يرجح أنه ينتمي الى قبيلة أوربة، والتي تعود مناطق نفوذها الى ضواحي منطقة تلمسان حاليا.

في البداية حارب كسيلة ضد قوات عقبة بن نافع وقوات قيس بن زهير البلوي، ممَّا تسبب بتأخير فتوحات الأمويين في المنطقة. وحين تم عزل عقبة وتولية أبا المهاجر دينار على رأس الجيس انتهج سياسة مخالفة فقرر التحالف مع القبائل البربرية وضم زعمائها الى جيشه، وكان منهم كسيلة، الذي أخذ عنده حضوة ومكانة. لكن حين قرر الأمويون إعادة تنصيب عقبة بن نافع على الجيش وعلى مدينة القيروان عام 62 هـ/681 م، هذا الأخير الذي ما إن وصل إلى القيروان حتى أمر بالقبض على أبي المهاجر دينار وتصفيده بالحديد، وأساء إلى كسيلة وأهانه. فتوعده كسيلة بالانتقام. ورغم أن أبا المهاجر كان قد نصح عقبة بن نافع بعدم الإساءة إلى كسيلة مما سيكون له عواقب وخيمة في مسار الفتح الإسلامي، لكن عقبة لم يأبه لذلك.

وفي هذا السياق نصب كسيلة لعقبة مكيدة ونشبت معركة بين الفريقين في بسكرة جنوب جبال أوراس (تهودة) فقتل عقبة بن نافع سنة 64 هـ- 684 م، ومثَّلت هذه المعركة توقف للمرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية بالمغرب.

أستولى كسيلة على القيروان بسهولة ومكث فيها حاكماً لمدة خمس سنوات، فأسس مملكة واسعة تمتد من الجزائر إلى تونس، أي من جبال الأوراس فمروراً بقسنطينة إلى القيروان عاصمة تونس القديمة في عهد عقبة بن نافع.

في عام 69هـ، انطلق جيش الأمويين من مصر بقيادة زهير بن قيس البلوي لاستعادة إفريقية. بعد دخوله القيروان، طارد زهيرُ بن قيس كسيلةَ غربا إلى أن التقيا في سهل ممس، فكانت معركة ممس عام 71هـ، حيث قُتِلَ كسيلةُ وانهزم ومن معه من البربر.

- **ثورة ديهيا أو الكاهنة:** بعد وفاة أكسل، اجتمعت القبائل القبائل البربرية على شخص الكاهنة ديهيا زعيمة قبيلة الجراوة لقيادتهم، ونجحت في تحقيق انتصارات باهرة على الجيش الأموي بقيادة حسان بن النعمان، بحيث اجبرتهم على الانسحاب من تونس والجزائر الى منطقة سرت في ليبيا سنة 693م، وسيطرت الكاهنة ديهيا على المغرب كله بعد حسان خمس سنين، وجعلت من ماسكولا (خنشلة حاليا) عاصمة لها. ولما رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر «إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها، حتى ييأسَ منها العربُ، فلا يكون لهم رجوعٌ إليها إلى آخر الدهر".

وعليه انتهجت ديهيا سياسة الأرض المحروقة أملا في وأد أطماع العرب، لكن بالمقابل كانت هذه السياسة بالذات سببا من أسباب هزيمتها لاحقا، حيث أن كثيرا من القبائل البربرية لم يعجبها الأمر وأصبحت تتمنى زوال سلطان الكاهنة ديهيا، وعليه فقد انفضوا من حولها بعض خمس سنوات حين عاد الجيش العربي بقيادة حسان بن النعمان، وقد نشبت معركة أخيرة بين الكاهنة ديهيا وحسان بن النعمان في منطقة طبرقة "شمال تونس حاليا" فقاتلت فيها ديهيا حتى النهاية ، وانهزمت فيها وقتلت سنة 703 م. وقد أوصت بنيها بالانضمام للجيش العربي والانخراط في الاسلام من بعدها. وبهذا انتهت أكبر مقاومة منظمة قادها البربر ضد جيوش العرب الوافدين.

عصر الولاة:

مع نجاح الحسان بن النعمان في القضاء على جيش ديهيا الكاهنة، وبالتالي نهاية مملكتها، استقر الأمر للوجود العربي في المنطقة، وأصبحت تابعة رسميا للدولة الأموية، وبالتالي تم تعيين والي عليها يسير شؤونها من القيروان.

وفي هذا السياق توسعت الدولة الأموية من المغرب نحو الأندلس، في عهد الوالي موسى بن نصير 92هـ-711م، حيث استعان في جيشه بالقبائل البربرية، فكان على مقدمة جيشه طارق بن زياد، البربري الأصل. وتفاصيل ما حدث قبلها ، أثنائها وما بعدها، وعن مصير موسى بن نصير وطارق بن زياد تذكر لنا كتب التاريخ المتخصصة في تلك المرحلة تفاصيل الأمر. عموما استمر الأمويون في تعيين والي على افريقية وما أصبح يعرف بالمغرب العربي من عاصمتهم في دمشق، وقد حدث أن ثار البربر ضد الوالي المعين من طرفهم في ما يعرف بثورة البربر 122هـ . وقد استمر الولاة الأمويون حتى سقوط الأمويون وتعويضهم بالعباسيون، الذي عينوا هم كذلك ولاتهم حتى جاء زمن هارون الرشيد، والذين تنازل عن نظام الولاة هذا، بعد ثورة ضد واليه السابق، فجعل تسيير المقاطعة المغربية في نسل الأغالبة، الذين أثبتوا ولاءهم للعباسيين وأخمدوا الثورة ضدهم. فإذا حكم الأغالبة باسم العباسيين، فانهم أسسوا عائلة ملكية وراثية مستقلة تحكم منطقة المغرب العربي بإسم العباسيين، وبالتالي عنى هذا الأمر بشكل آخر نهاية عصر الولاة حوالي سنة 184 هـ /800م.

ثورة البربر:

ثورة البربر (122هـ - 125هـ / 739م - 743م)، هي ثورة قامت بها القبائل البربرية ضد سلطة الخلافة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، ومثلت أول محاولة استقلال ناجح عن سلطة الدولة الأموية. حيث بدأت ثورة البربر ضد ولاة الأمويين في مدينة طنجة

(المغرب) سنة 740م، وتمت قيادتها بشكل رئيسي من طرف ميسرة المطغري. ونجح في طرد الوالي الأموي من القيروان، انتشرت الثورة بسرعة إلى باقي مناطق شمال أفريقيا وعبر المضيق باتجاه الأندلس.

السبب الرئيسي لثورة البربر هو شكوى القبائل البربرية من السياسة التعسفية للوالي الأموي لإفريقية بخصوص الجزية والخراج والعبيد وأمور أخرى، وحين انتجه وفقد من القبائل وعلى رأسهم "ميسرة المطغري" الى الخليفة في دمشق، رفض استقبالهم، وحينها عاد الوفد وقد عقدوا العزم على الثورة، وهو ما حصل.

يذكر كذلك تبني الثوار الى المذهب الخارجي الصفري، وبهذا أخذت ثورة البربر صبغة دينية اسلامية كذلك، حيث أنه معروف عداء الخوارج للأمويين مذهبيا وسياسيا.

رغم أن الثوار بقيادة ميسرة المطغري الذي تمكن من تجييش كثير من القبائل تحت امرته، تمكنوا من إنهاء الحكم الأموي في المغرب الغربي بعد معارك بقدورة ومعركة النبلاء، إلا أن الأمويين تمكنوا من منع قلب إفريقية (تونس وشرق الجزائر وغرب ليبيا) والأندلس (إسبانيا والبرتغال)) من الوقوع في أيدي المتمردين، وبعدها تمكنوا من تحقيق النصر الحاسم في معركة الأصنام، التي قضت على زخم الثورة. ومع ذلك، فإن بقية بلاد المغرب العربي لم تتم إعادتها أبدًا إلى الحكم الأموي. ذلك أنه بعد الفشل في الاستيلاء على العاصمة القيروان، انحلت جيوش المتمردين الأمازيغ وانقسمت، حتى أن قائدهم ميسرة المطغري قد تم اغتياله أو قتله بعد مدة قصيرة من في ظروف غامضة، وتم تقسيم المغرب الغربي إلى سلسلة من الدويلات الصغيرة، التي يحكمها زعماء القبائل وأئمة الخوارج.

وقد تركت ثورة البربر أثارا كبيرة على أحوال المنطقة وكذلك على الخلافة الأموية، حيث كان من نتائجها خسائر هائلة في الأرواح والعتاد، وتدمير كثير من المدن والطرق، وقد أثقل هذا الأمر كاهل الدولة الأموية، التي وان تمكنت من اطفاء على ثورة البربر، إلا انها خرجت

منهكة منها، وهو ما أثر لاحقا على قدرتها على الصمود أمام منافسيها وعلى رأسهم أبناء عمومتهم العباسيين.

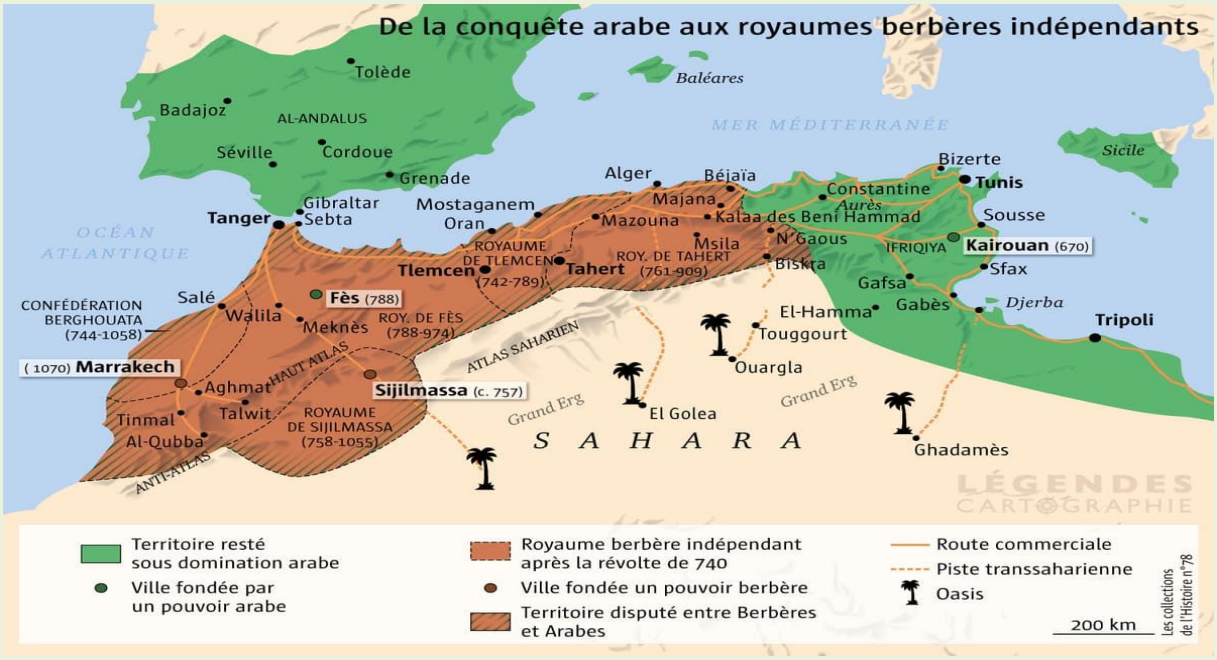

الأغالبة والادارسة :

- **الأغالبة:** بنو الأغلب أو الأغالبة سُلالة عربية من بني تميم حاكمة، حكمت في المغرب العربي وجنوب أوروبا في القرنين الثاني والثالث الهجري وأسسوا الدولة الاغلبية التي كانت تضم تونس وليبيا والجزائر ومالطا وصقلية وسردينيا وأجزاء واسعة من إيطاليا وفرنسا وذلك بين عامي (184 هـ – 296 هـ). وكان عدد ملوكهم أحداً عشراً ملكاً.

مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، استفاد من ثورة تمام بن تميم التميمي على والي العباسيين: محمد بن مقاتل العكي، عام 183 هـ، والذي تمكن من هزيمة الجيش العباسي، وطرد ابن مقاتل والاستيلاء على القيروان. فتصدى له إبراهيم بن الأغلب وهزمه ورد ابن العكي، وعندما بلغت هذه الأخبار الخليفة هارون الرشيد جعل ولاية افريقية الى

إبراهيم بن الأغلب ومن بعده أبنائه وأحفاده، فأصبحوا ملوكًا على إفريقية، وذلك مقابل أن يخطبوا للعباسيين على منابر الجوامع والمساجد، فأسس إبراهيم بن الأغلب أركان الدولة.

كان القيروان عاصمة الأغالبة ومنها توسعوا الى صقلية شمالا، وقد استعانوا بالقبائل البربرية في توطيد أركان دولتهم، وكان عدد ملوكهم 11 ملكا. وقد سقطت الدولة الأغلبية بعد دب الضعف والشقاق فيها، وأسقطها الفاطميون سنة 909م ، واسسوا عاصمتهم المهدية كبديل عن القيروان.

- **الرستميون:** الرستميون أو بنو رستم سلالة حاكمة من أصل فارسي تنتمي إلى مذهب الإباضية حكمت في بلاد المغرب الأوسط بين 776م و 909م، مقرها كان مدينة تاهرت أو تيهرت وهي حاليا مدينة تيارت في الجزائر.

تحالف الرستميون مع القبائل البربرية البدوية وقبائل زناتة، واعتمدوا المذهب الخارجي الاباضي كمذهب ديني رسمي لدولتهم. حيث تأسست الدولة الرستمية في المغرب الأوسط خارج حدود الدولة العباسية غربى نهر الشلف سنة 164 هـ / 780 م، وقد جعل مؤسسها عبد الرحمن بن رستم عاصمتها في تاهرت. وكانت الدولة الرستمية تتبنى المذهب الخارجي الاباضي، وقد حكم الرستميون باستقلال كامل عن الدولة العباسية ثم الاغالبة، وخرج من تاهرت دعاة المذهب الأباضي لنشر مذهبهم في المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) الذى كان خارجًا عن سلطانهم. واستمر وجود الدولة الرستمية لأزيد من مائة سنة ، فكان منهم 9 سلاطين، حتى سقطت دولتهم على يد الفاطميين.

بعد هزيمتهم على يد الفاطميين في سنة 909م ، وتفكك دولتهم، انسحب بقية الرستميون الى جنوب الجزائر، وبالتحديد في وادي مزاب، أي استقر بقيتهم ونشروا المذهب الإباضي بعيدا من مركز الصراعات في المغرب العربي.

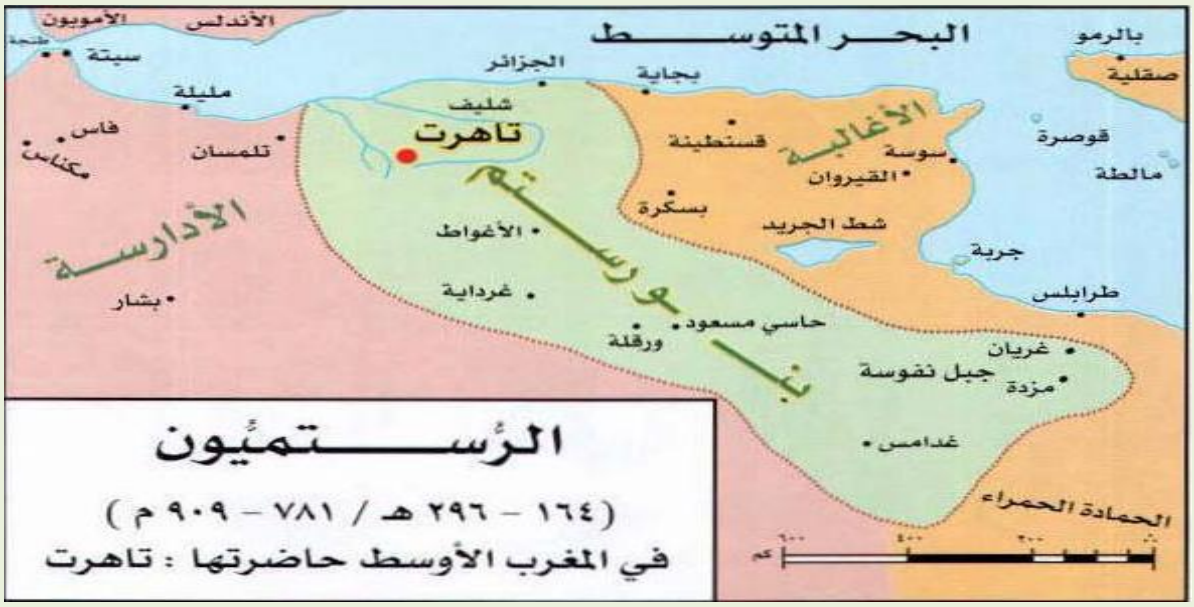

الفاطميون

حل الداعية الاسماعيلي أبو عبد الله الشيعي في المغرب وبالتحديد في أرض قبائل كتامة في الجزائر، وبدأ بنشر دعوته مستغلا الظروف من مثل الشعور بالمظلومية وتهميش دور القبائل البربرية في السلطة، وتغلغل الانشقاق في دولة الاغالبة، بنجح في اقناع كتامة بدعوته، ومنه دعوة المهدي المنتظر الى الظهور، وفي هذه الظروف انتقل عبيد الله المهدي من المشرق الى أرض المغرب بدعوة من أبو عبد الله الشيعي، وبدأت بعدها قصة الدولة الفاطمية أو الخلافة الفاطمية رسميا سنة 909م ، بانتصارهم على الأغالبة والرستميون، وسيطرتهم على الأراضي التي كانوا يحكمونها.

تحالف الفاطميون مع قبائل كتامة، التي مثل جيش الفاطميين، وعليه تأسست الخلافة الفاطمية في أرض الجزائر وجعلت من المغرب العربي منطلقها، متخذين في البداية من مدينة "المهدية" التي أسسها عبيد الله المهدي عاصمة له قبل أن ينتقلوا الى القاهرة زمن المعز لدين الله.

هي إحدى دُولِ الخِلافةُ الإسلاميَّة، والوحيدةُ بين دُولِ الخِلافةِ التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا رسميًّا لها. قامت هذه الدولة بعد أن نشط الدُعاة الإسماعيليّون في إذكاء الجذوة الحُسينيَّة ودعوة الناس إلى القتال باسم الإمام المهديّ المُنتظر، الذين تنبؤوا جميعًا بظُهوره في القريب العاجل، وذلك خلال العهد العبَّاسي فأصابوا بذلك نجاحًا في الأقاليم البعيدة عن مركز الحُكم خاصّةً، بسبب مُطاردة العبَّاسيين لهم واضطهادهم في المشرق العربي، فانتقلوا إلى المغرب حيثُ تمكنوا من استقطاب الجماهير وسط قبيلة كتامة البربريَّة خصوصًا، وأعلنوا قيام الخِلافةِ بعد حين. شملت الدولة الفاطميَّة مناطق وأقاليم واسعة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، فامتدَّ نطاقها على طول الساحل المُتوسطيّ من بلاد المغرب إلى مصر، ثُمَّ توسَّع الخُلفاء الفاطميّون أكثر فضمّوا إلى مُمتلكاتهم جزيرة صقلية، والشَّام، والحجاز، فأصبحت دولتهم أكبر دولةٍ استقلَّت عن الدولة العبَّاسيَّة، والمُنافس الرئيس لها على زعامة الأراضي المُقدَّسة وزعامة المُسلمين.

أخذت الدولة الفاطميَّة تتراجع بسُرعةٍ كبيرة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فاستبدَّ الوُزراء بالسُلطة وأصبح اختيار الخُلفاء بأيديهم. وانتهى وجودها رسميا سنة 1171م عندما استقلَّ صلاح الدين الأيوبي بمصر بعد وفاة آخر الخُلفاء الفاطميين.

ثورة صاحب الحمار

يقصد بصاحب الحمار "أبو يزيد" واسمه الحقيقي هو مخلد بن كداد اليفرني (عرف بصاحب الحمار) من قبائل زناته البربرية بنو يفرن. ثار ضد الحكم الفاطمي (942 –947). عاش في مدينة توزر وكان من الخوارج الصفرية. يكنى بصاحب الحمار لأنه كما علمنا سابقا كان يتنقل بين المدن والقرى ناشرا دعوته العدائية راكبا حمارا.

واجهت الدولة الفاطمية في المغرب ثورات عديدة كلفتها الكثير من الوقت والمال والجهد للقضاء عليها كان من أبرزها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي ينتمي إلى مذهب الخوارج.

كادت هذه الثورة أن تقضي على الدولة الفاطمية وهزت أركانها وعرضتها للسقوط مرات عديدة، فقد مات الخليفة القائم بأمر الله "322–334هـ/933–945م" وهو محاصر في مدينة المهدية، وتولى الحكم من بعده الخليفة المنصور "334–341هـ/945–952م" واستطاع القضاء عليها بعد جهود كبيرة، وتأتي أهمية هذه الثورة كونها الثورة الأكثر خطراً التي واجهت الفاطميين في المغرب الإسلامي آذ شغلت عصر الخليفة القائم بأمر الله كله، وعامين من عصر الخليفة المنصور، وبسبب ما خلفته من خسائر بشرية ومادية، ومما يدل عل خطورة هذه الثورة وأهمية القضاء عليها بالنسبة للدولة الفاطمية أن الخليفة المنصور سجل انتصاره على أبي يزيد قائد الثورة بإنشاء مدينة سماها المنصورية في موقع المعسكر الذي انتصر منه على أبو يزيد تفاؤلاً بهذا الانتصار. حيث انتهت هذه الثورة وزخمها سنة 947 بموت قائدها "أبا يزيد".

لقد أتى هذا الثائر إلى المهدية غازيا ومحاربا للقضاء على الفاطميين في عاصمتهم بعد أن قام بحملات دعائية صاخبة في المدن والقرى وارتكب عملا استفزازيا وهو دق رمحه على باب المهدية الجنوبي بعد عملية شغب معلنا بداية ثورة أجمع المؤرخون أن نجاة الدولة الفاطمية منها كان بمثابة معجزة.

الزيريون والحماديون

- **الزيريون :** يعتبر الزيريون أول أسرة حاكمة من القبائل البربرية تحكم في الفترة العربية الاسلامية، فبنو زيري أسرة بربرية صنهاجية، حكمت في شمال أفريقيا الجزائر وتونس والمغرب وأجزاء ليبيا ما بين 972–1152م، وان حكموا في البداية باسم الفاطميين، الا انهم استقلوا عنهم تدريجيا. وأسسوا دولة كبرى في المنطقة حكمت مناطق واسعة من المغرب العربي (الجزائر وتونس وليبيا والمغرب اليوم)، وخلفهم الحماديون من نسلهم الذي تقاسموا معهم مناطق النفوذ لازمنة طويلة.

في 972 عندما كان المغرب تحت الحكم الفاطمي غادر الخليفة المعز لدين الله المغرب ليستقر في القاهرة. أوكلت السلطة في المغرب إلى بلقين بن زيري (972–984) زعيم قبيلة صنهاجة. اتخذ الزيريون عدة عواصم ابتداء من مدينة آشير منذ عام 971 م، ثم القيروان منذ عام 995 م، ثم المهدية منذ عام 1057 م.

ينحدر بنو زيري من المغرب الأوسط وسط الجزائر حاليا وكان كبيرهم «زيري بن مناد» من أتباع الفاطميين منذ 935م. تولى الأخير سنة 972م حكم الإمارة في قلعة آشير (الجزائر). تمتع ابنه من بعده بلقين بن زيري (971–984 م) باستقلالية أكبر عندما حكم جميع بلاد إفريقية، وتمكن من أن يوسع دولته غربا حتى سبتة، وهاجموا فاس سنة 980م لكنهم لاقوا مقاومة من السكان المحليين من قبيلة زناتة المتحالفين مع خلافة قرطبة.

دخل الزيريون بعدها في صراع مع أبناء عمومتهم الحماديون الذين أسسوا دولة خاصة بهم في المغرب الأوسط.

- **الحماديون:** الحماديون أو بنو حماد، هم فرع من الزيريون، سلالة صنهاجية حكمت اجزاء من المغرب الكبير بين 1014 إلى 1152. أسست سلالة الحماديين في 1014 حماد بن بلكين الابن الثاني لبلقين بن زيري، بعد الانفصال عن سلالة الزيريين وصراع على الخلافة.

أقام حماد بن بلكين دولة بني حماد أو الدولة الحمادية التي تمثل أول دولة أمازيغية مستقلة تحكم المغرب الأوسط في العصر الإسلامي. بدأ تاريخها الحقيقي حين بنى حماد القلعة، وتعاقب على حكم هذه الدولة تسعة أمراء، اختلفوا قوةً وضعفًا وأسلوب حكم، وكان آخرهم يحيى بن العزيز الحمّادي. تركت دولتهم منشآت عمرانية ومعالم حضارية بارزة إلى الآن.

أسس دولتهم حماد بن بلكين (1007–1028 م) الذي ولي حكم آشير (الجزائر حاليا) من بني أعمامه الزيريين. بنى عاصمته القلعة عام 1007 م ثم أعلن الدعوة العباسية سنة 1015 م واستقل بالحكم، إلا أن دولته لم تحظ بالاعتراف إلا بعد حروب كثيرة خاضها ابنه القايد (1028–1054 م) مع الزيريين. اعترف هؤلاء في النهاية باستقلال دولة الحماديين.

الموحدون

الموحدون أعظم الدول التي حكمت المغرب العربي، بحيث شكلت امبراطورية حكمت المغرب العربي والأندلس ومناطق أخرى، بدأت بدعوة دينية قادها المهدي بن تومرت ضد سلطة المرابطين في المغرب الأقصى، وتوجت مع عبد المؤمن بن علي الكومي بنجاحات عسكرية وسياسية انتهت بتوحيد كل المغرب العربي والأندلس تحت سلطة واحدة.

يمكن القول أن الدَّوْلَةُ الْمُوَحِّدِيَّةُ أسسها الموحدون وهم من قبيلة مصمودة المغربية وذلك خلال القرن الثاني عشر. سُمّيت هذه الدولة بهذا الاسم؛ لأنّها قامت منذ بدايتها على عقيدة الدعوة إلى التوحيد الخالص، ورعت دولة الموحدين في خلال عهدها الحياة العلمية والثقافية في المغرب وبلاد الأندلس، فنشأ في عهدهم ابن رشد، وابن طفيل وغيرهم.

حكمت بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) والأندلس بين سنتي 1121م و1269م، وقد أسسها محمد بن تومرت بداية في شكل حركة دينية قبل أن يتمكن تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي (1130م / 1133م – 1163م) من استكمال مشواره عسكريا وسياسيا من خلال توحيده لكامل شمال أفريقيا والأندلس تحت حكم دولة وعقيدة وحكومة واحدة.

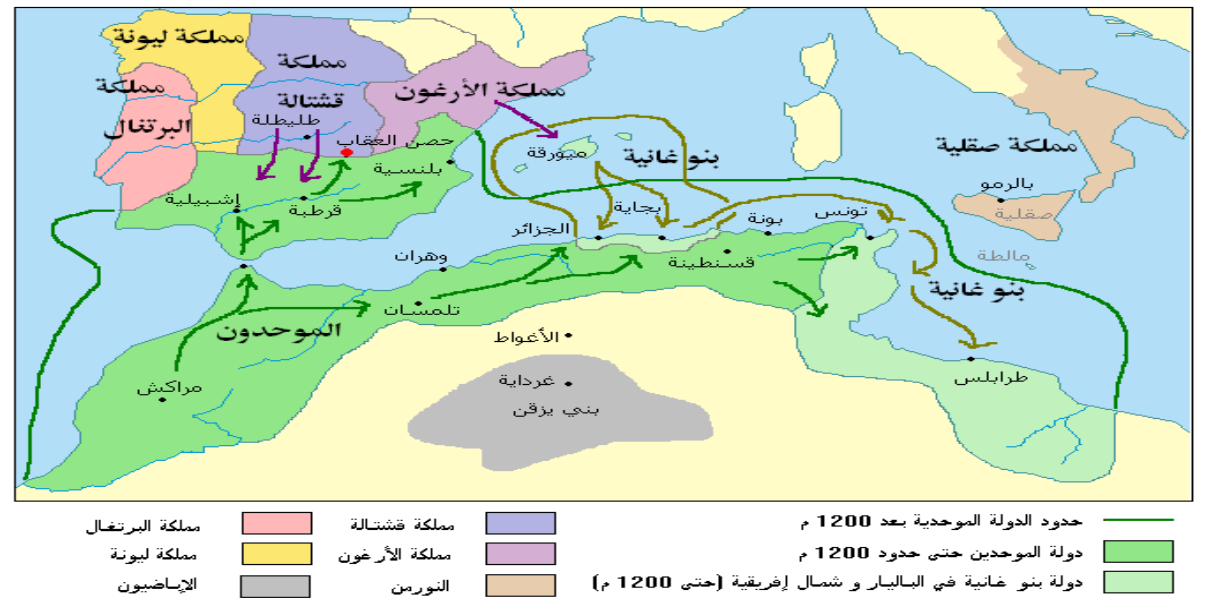

الزيانيون

الزيانيون، بنو زيان أو بنو عبد الواد سلالة بربرية زناتية حكمت في غرب الجزائر بين 1236 و 1554 م. عاصمتهم تلمسان.

يرجع أصل الدولة الزيانية أو بنو زيان، أو كما يطلق عليهم أيضًا بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة وهي إحدى أكبر القبائل العرقية ذات الأصول الأمازيغية التي سكنت في بلاد المغرب، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عبد الواد من زناتة.

قبل استقرارهم بتلمسان، كان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثًا عن المراعي المناسبة لدوابهم بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية. ولما حلّ عرب بني هلال بالمغرب انزاح بنو عبد الواد أمامهم من الزّاب واستقروا في منطقة جنوب وهران، وفي عهد المرابطين حضروا مع يوسف بن تاشفين معركة الزلاقة.

مع الزيانيون دخلت الجزائر ومنطقة المغرب العربي في عصورها المظلمة، ومثلوا كذلك خاتمة المرحلة العربية الاسلامية، حيث ستكون نهايتهم بداية مرحلة العثمانيين في الجزائر.

المراجع الموصى بها في هذا المحور:

للتوسع أكثر في المعلومات والمعارف يرجى مطالعة ما يلي:

- ا.ف. غوتييه، ماضي شمال افريقيا.

- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة.

- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الأول: الجزائر القديمة والوسيطية.